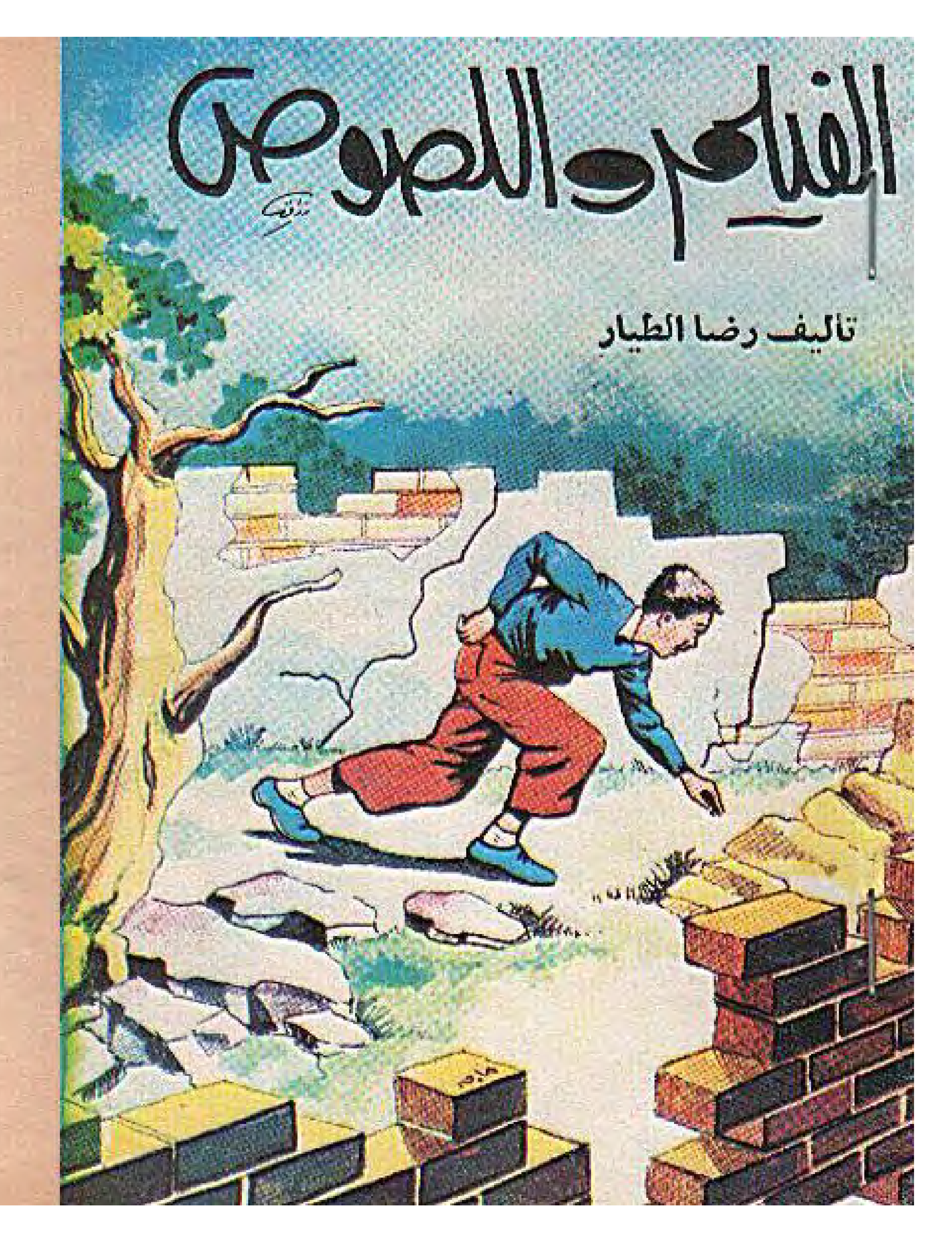
٣٥

القلم والنصوص

تاليف رضا الطيار



- ١ -

منذ ان عثر « رائد » في مكتبة والده على كتاب مترجم الى العربية يبحث في « حرفيات السينما » حتى اشتعلت في نفسه مجددا رغبته في ان يقوم بنفسه بصناعة فيلم سينمائي ·

وكانت هذه الرغبة تتجدد في نفسه كلما خرج من مشاهدة فيلم سينمائي مفعم بالمغامرات ·

كما انها تتجدد ايضا عندما يبادر عمه فؤاد ، في مناسبات خاصة مختلفة ، الى جمع افراد العائلة في حديقة منزل الجد لتصويرهم بكاميرا الهواة ، قياس ٨ ملم ، التي يملكها ، ثم يجمعهم مرة اخرى فيما بعد

لمشاهدة الفيلم الذي صوره لهم بعد الفراغ من اظهاره وطبعه وتهيئته ، فيقضون دقائق صاخبة ضاحكة في التعليق على ماكانوا قد فعلوه ·

وكان رائد قد اعتاد أن يلقي نظرة ما أو يقرأ قليلا في المجلات والكتب التي يجلبها والده ، أو يحتفظ بها في رفوف مكتبته المتواضعة · وصحيح انه ما كان يهتم كثيرا بتلك الكتب المتخصصة في علوم انسانية معينة ، ولكنه كان يطير فرحا عندما يعثر بينها على كتاب يضم رواية او مجموعة قصصية · وكان يولع اساسا بالروايات التاريخية وبقصص المغامرات فيقضي معها وقتا ممتعا ·

وقد اثار استغرابه انه لم يلاحظ وجود كتاب « حرفيات السينما » في رفوف المكتبة بالرغم من أنه موجود هناك منذ وقت طويل ·

وعزم على أن يقضي مع هذا الكتاب وقتا طويلا، وكان واثقا من أن والده لن يمانع في ابقائه معه لفترة عندما سيطلب منه ذلك هذا المساء ·

- ٢ -

قال رائد بحماس : والان علينا ان نفكر في قصة الفيلم الذي سنصنعه ·

قال محمود : مهلا ، ينبغي أن نناقش قبل ذلك كيفية تهيئة لوازم صناعة الفيلم ·

قال رائد : سنشتري الكاميرا السينمائية من مدخراتنا ·

اعترض وليد قائلا : لا أعتقد أننا نستطيع أن نجمع مايكفي لشراء كاميرا صغيرة · ان ثمنها لن يقل

عن مائة دينار بأي حال من الاحوال ·

خيم عليهم الوجوم لبرهة ، ثم عدل همام موضع نظارته الطبية امام عينيه وسأل : أليست هناك كاميرا هواة سينمائية ٨ ملم لدى عمك فؤاد يا رائد ؟

قال رائد بصوت خافت : نعم ، ولكنه لايعير اجهزته الكهربائية والالكترونية الى أحد ، وبخاصة الى صغار مثلنا ·

قال محمود : هناك ايضا مشكلة الفيلم السينمائي ·

قال وليد : أعتقد انه متوفر في المحلات ، ولن يصعب علينا شراؤه ·

وقال محمود : ولكن ماذا عن طبعه واظهاره ؟

قال وليد ايضا : يمكننا الاعتماد في ذلك على محلات التصوير الفوتوغرافي ·

قال محمود : لا أعتقد انه امر بهذه السهولة ، انهم يكتفون بالتعامل مع افلام التصوير الفوتوغرافي·

عاد همام الى تنسيق موضع نظارته الطبية على

أنفه ، وقال : ربما امكننا الاعتماد على التلفزيون ، سنقول لهم أننا طلاب اذكياء ومجتهدون ونهوى تصوير الافلام · لقد كنت الاول على الصف في السنة الدراسية الماضية ·

هز محمود يده وقال : هو هووه !

قال رائد : في مسالة تحميض الفيلم ، اعتقد أن عمي فؤاد لن يمانع في اظهار الفيلم مع الافلام التي يصورها ··· انه يظهر افلامه بنفسه بما لديه من معدات ، والمادة الكيمياوية التي يهيئها في كل مرة تكفي لتحميض اكثر من فيلم واحد ·

قال محمود : وماذا عن ···

فقاطعه رائد بنفاذ صبر : الن نناقش قصة الفيلم الان ؟!

- ٣ -

قال وليد قاضما قطعة اخرى من الكيك : لابد ان يكون فيلم مغامرات !

قال رائد : لقد فكرت في ذلك · ستكون في الفيلم عصابة تسرق البيوت ، وتقوم بعمليات تهريب ، ويتم القاء القبض عليهم في النهاية بعد مجموعة مثيرة من المطاردات والمعارك ·

اعترض محمود مرة اخرى : ماذا تعني بالمطاردات والمعارك المثيرة ؟ لن يكون هناك غيرنا ، ولن نستطيع

التصوير خارج نطاق منازلنا !

قال رائد بلهجة ارادها ذات مغزى : سنلجأ الى الخدع السينمائية ، انهم يصنعون ذلك دوما ·

قال همام : وهل تستطيع ، مثلا ، أن تجعل وليد يبدو غوريلا ضخم الحجم كما في فيلم « كينغ كونغ »؟

قال وليد غاضبا : وما حاجتكم الى الغوريلا في فيلم مغامرات وعصابات !

وعاد رائد الى مواصلة عرض فكرته : « سنصور قيام العصابة باحدى سرقاتهم » · واجال بصره في حديقة المنزل ثم واصل كلامه : « سيأتي اثنان من فوق سياج الحديقة ، ويتسللان الى هذه الجهة ، ثم يلقيان حبلا الى السطح ... »

صاح وليد بانفعال : وسيكون هناك خطاف في نهاية الحبل يعلق في السطح ، تماما كما في فيلم « ساندوكان » ·

فاعترض عليه همام : لم يكن ذلك في فيلم « ساندوكان » بل في فيلم « القرصان الاسود » ·

قال رائد : المهم انه يوجد خطاف أو حلقة فـي نهاية الحبل تسمح له بالتعلق فوق ·

قال محمود : وماذا اذا لم يعلق الحبل عندمـا نرميه ؟

قال رائد : انهما سيرميان الحبل فقط ، وسنقوم بربطه في السطح بشكل محكم فيما بعد ·

قال همام مبتسما بخبث : ومن الذي سيصعد؟ لا أعتقد أن الحبل سيتحمل ثقل وليد !

اغتاظ وليد قليلا ، وقد ساءه أنهم يعاودون دوما السخرية من بدانته ، ولكنه مالبث أن ابتسم في مكر وقال : انني لن اكون من رجال العصابة ، فجسمـي ليس ملائما لذلك ، ولكنني ساكون ضابط شـرطة ، وساعرف كيف أتعامل معكم !

قال محمود : وهل تريد ان تكون بطل الفيلم ؟

قال رائد : لن يكون ضابط الشرطة بطـلا لفيلمنا · هناك البطل ، وهناك الشرطة ، وهناك رجال العصابة ·

قال وليد : وهل ستستأثر انت ببطولة الفيلـم

ايضـا ؟

قال رائد مبتسما : لن اكون انا بطل الفيلم بـل رئيس العصابة · صحيح أنكم ستلقون القبض عـلي في نهاية الفيلم ، ولكنني قبل ذلك ساشبعكم ضربـا طوال الفيلم !

اعترض محمود : ماكل هذا الحديث عن الضرب وتصفية الحساب ، هل سنمثل فيلما أم ندخـل معركة ؟

قال رائد بجدية : لن يكون هناك ضرب حقيقي · سنحرك أيدينا أمام الوجه ، وستوحي زاوية التصوير بأن القبضة قد لاحت الفك ·

فسأل همام : وماهي زاوية التصوير الملائمـة للايحاء بذلك ؟

وجم رائد قليلا ثم قال : لابد اننا سنكتشف ذلك فيما بعـد !

وصاح وليد : وكيف سنصنع أصوات طلقـات الرصاص ؟

قال رائد : سنضطر الى الاستغناء عن الصوت

، فلن يمكننا صنعه في فيلمنا · سيكون فيلما صامتا مثل افلام شارلي شابلن ولوريل وهاردي ·

قال وليد : اذن سنحتاج الى تصوير وميض الطلقة عندما تخرج من المسدس ، كما يحدث في افلام جيم براون الاسود ·

صاح همام : لماذا هذا الاصرار على المسدسات وطلقاتها ؟ ليكن افراد عصابتنا ممن لايستعملون المسدسات ·

ان واحدا من ابطال فيلم « العظماء السبعة » كان لايستخدم سوى سكينه فقط ، وكان يرميها بسرعة ومهارة لتصيب العدو بدقة في صدره ، هكذا ···!

ونظر محمود حوله في الحديقة وسأل : وكيف سنصور مشهد السرقة هنا في الحديقة في الظلام ؟

قال رائد متضايقا : لاتعقد الامور يا اخي ! ان اللصوص في فيلمنا يسرقون البيوت في النهار وليس في الليل !

- ٤ -

لبث رائد قليلا يراقب عمه فؤاد وهو يعمل على تصليح جهاز التسجيل الذي تعطل في الاسبوع الفائت·

كان العم فؤاد قد ازال الغطاء العلوي العريض للجهاز فبدت احشاؤه الشديدة التعقيد بما فيها من اسلاك ملونة والواح مرصعة بقطرات فضية وتوصيلات كهربائية · وكان يضع « البراغي » الدقيقة الحجم في مجموعات على الصحيفة التي فرشها على الارض الى جانبه ·

وراح رائد يتابع بدقة حركات يدي عمه الماهرتين، محاولا تثبيت الخطوات في ذهنه ·

وعاد رائد الى مواصلة اسئلته :

ـ كيف يمكن تصوير المشاهد الليلية في الظلام دون استخدام الاضاءة الضرورية التي ستبدد ذلك الظلام في حالة اشعالها ؟

فأجابه العم فؤاد دون أن يرفع رأسه عن جهاز التسجيل وهو يبحث عن « برغي » صغير سقط تحت الاسلاك ·

ـ هناك وسائل متعددة للايحاء بالمشاهد الليلية في الافلام · اذ يمكن اللجوء الى فتحة ضيقة لعدسة التصوير لاتسمح الا بدخول كمية محدودة من الضوء· أو الاعتماد على مختبر التحميض لاغراق المشاهد المصورة في مسحة كابية أو احادية اللون · ولكن الوسيلة الشائعة هي استخدام فلترات خاصة توضع أمام العدسة في الكاميرا لتوحي بالتصوير الليلي بالرغم من أن التصوير يتم في النهار · وذلك وفق ضوابط فنية خاصة والا ستكون الخدعة مفضوحة

كما في الفيلم الذي عرضه التلفزيون عصر الجمعة الماضية ·

هل تذكر تعليق والدك على ذلك عند ظهور المشهد الليلي ؟

ـ وهل لديك مثل هذا الفلتر ؟

ـ يمكنني الحصول عليه من أحد أصدقائي ، أو حتى تصنيعه ·

ولكن لاحاجة بي اليه ، فكل ما أصوره هو لقطات عائلية ولست أصنع أفلاما قصصية ·

وعثر العم فؤاد على « البرغي » الساقط فمد يده به الى رائد كي يضعه عند طرف الصحيفة مع اثنين شبيهين به ·

وكان لدى رائد سؤال آخر :

ـ هل تذكر يا عمي الفيلم الذي أخذتنا اليه الشهر الماضي ؟

ـ تقصد الفيلم الايطالي من تمثيل جوليانو جيما ؟ ماذا به ؟

ـ كيف كانوا يصنعون تمزق القميص أمامنا

وتفجر الدم من الثقب في صدر الممثل في اللحظة التي تصيبه فيها الرصاصة ؟

– تلك الخدعة وأمثالها من مزايا العمل السينمائي · فاللقطات لايتم تصويرها دفعة واحدة بل على مراحل · هناك صورة للضحية ، وأخرى لاطلاق الرصاص ، واخرى للتظاهر بالاصابة ، وصورة غيرها مع القميص المثقوب ، واخرى لانبجاس سائل احمر من مكان الثقب ، وهكذا ··· وبتجميع اللقطات مع بعضها في عملية مونتاج ذكية ، مصحوبة بالمؤثرات الصوتية ، يجري الايحاء بالاصابة بالطلقة على ذلك النحو ·

ثم توقف العم فؤاد عن استرساله في الحديث ووضع المفك الذي كان في يده جانبا ، والتفت الى رائد متسائلا :

– الاحظ انك تكثر هذه الايام من الاسئلة عن صناعة السينما والخدع السينمائية ، ماهي المسألة ؟

فاعتدل رائد في جلسته ، وتظاهر بعدم المبالاة وقال هازا يده :

– لاشيء ، مجرد رغبة في زيادة المعلومات ·

ولكن العم فؤاد بقي يتطلع اليه ، فأضاف رائد :

– ثم ان اصدقائي في المدرسة يسالونني دوما عن أمثال هذه الامور ، فهم يعرفون أن عمي فؤاد يهتم بهذه المسائل ، وأن لديه كاميرا سينمائية وأجهزة تحميض !

فزم العم فؤاد شفتيه ، ونظر اليه نظرة ذات مغزى ! وقال مبتسما :

– هكذا اذن !

وعاد العم فؤاد الى التنقيب في « احشاء » جهاز التسجيل ، ثم التفت الى رائد قائلا :

– ولكنك لم تسألني بعد عن كيفية تنفيذ مشاهد انقلاب السيارات أو تصادمها !

قال رائد : لن نحتاج الى مثل ذلك في فيلمنا !

فبوغت العم فؤاد ، واستدار متسائلا : ماذا ؟ ماذا تعني ؟

فادرك رائد انه لم يكن حذرا وأنه قد تعجل في

اجابته ، فقال :

ـ لاشيء ، لاشيء على الاطلاق ! ساكون مسرورا بمعرفة كيفية صناعة ذلك !

ومضت دقيقتا صمت • وكان في ذهن رائد سؤال آخر عن زاوية التصوير المطلوبة للايهام بأن القبضة قد أصابت فك الخصم ، ولكنه بقي مترددا في توجيه السؤال • ومالبث العم فؤاد أن قال :

ـ ستجد في مكتبتي كتابا لمؤلف عربي عن « تكنيك الخدع السينمائية » ، وآخر لغيره عن « اللون في السينما » • وهناك سلسلة كتب تشرح جوانب من صناعة السينما للهواة ولطلبة السينما ستميزها بسهولة من لونها الموحد الاحمر الغامق •ولن تعثر في مكتبة والدك على مثلها فهو لايهتم بهذه الكتب • ويمكنك أن تاخذ منها ماتشاء ، ولاتنس المحافظة على كل كتاب تستعيره !

وكاد رائد يطير من الفرح ، فلقد فتح أمامه مجال ذهبي •

ـ ٥ ـ

اختلطت الضجة المبهمة المتصاعدة بالحرارة الخانقة الشديدة التي ازدادت وطاتها بسبب الشمس اللافحة واختلاط انفاس الجموع المكتظة المتدافعة • كان الزحام شديدا في « سوق الهرج » في هذه الساعة من النهار • وقد اجتمع في السوق الضيق العابق برائحة القدم والمخلفات العتيقة انماط شتى من البشر، مختلفين في سحناتهم واعمارهم وازيائهم وطباعهم باختلاف منحدرهم •

كان الشعور بالاختناق هو الانطباع الاول الذي افعمت به نفوس الصبية الاربعة · واذا كان رائد ومحمود وهمام قد سبق لهم زيارة سوق الهرج في اوقات قليلة متباعدة ، فان الموقف كان غريبا ومدهشا للغاية بالنسبة الى وليد الذي لم تسنح له فرصة الولوج اليه سابقا ·

وكانت فكرة اللجوء الى سوق الهرج بحثا عن كاميرا سينمائية مستعملة من قياس ٨ ملم هي فكرة همام · وقد سبق له اقتناء عدد من لوازم الاجهزة التي يصنعها بمجيئه الى السوق بصحبة ابن عم اكثر من مرة ·

وبدت الحالة بمجملها مجرد عبث في ذهن وليد فالناس كثيرون ، يتزاحمون بالمناكب ، والبضائع عديدة مكدسة غير منظمة ، وقد بدا معظمها شديد التفاهة او عديم النفع · ثم أن الحرارة لاتطاق ، واحتمال الاصابة بعدوى أي مرض وارد بالتاكيد ·

وفكر وليد فيما ستقوله والدته المهووسة دوما بالنظافة اذا ما رأت هذا المكان أو لمحته فيه ·

ولكز وليد جنب محمود محاولا ان يعلق على جدوى عدد هائل من المسامير والبراغي الصغيرة القديمة الصدئة من مختلف الاحجام دون ترتيب على بسطة من الخشب ضمن صف البائعين المتنقلين الذين احتلوا ممرا مستقيما يتوسط السوق على امتداده · ولكنه ما لبث ان ابتلع ملاحظته عندما وجد رجلا رزنيا جليل المظهر قد أقعى قرب البسطة وراح ينقب فيها بمنتهى الجدية والاهتمام ، تماما مثل الاستاذ محمد ، مدرس الفيزياء ، عندما يجري لهم احدى تجاربه في المختبر ·

ولبث الصغار قليلا يحدقون في رجل نحيل جاحظ العينين ، وقد برزت عروق رقبته ، واحمر وجهه وسال الزبد من شدقيه وهو يجادل رجلا بدينا ناعس العينين في محاولة لاقناعه بقيمة ساعات يدوية مختلفة يحملها محاولا أن يبيعه احداها · وقد تحلق حولهما عدد من الناس ، لبث بعضهم متابعين المناقشة بشيء من الاهتمام ، في حين انفض غيرهم سريعا ·

وهمس رائد في اذن وليد وقد لاحظ مدى انفعاله

بما يراه :

ـ يمكنك هنا أن ترى أي شيء قد لايخطر لـك ببال معروضا للبيع والمساومة . وليس من الغريب أن تعثر أيضا على محتالين ودجالين ونشالين . هذا ماقاله لي العم فؤاد مرة عندما اصطحبني الى هنا .

قال لهم همـام :

ـ من الافضل أن نبحث عن الدكاكين التي تتعامل بالاجهزة الكهربائية ، من راديوات وتلفزيونات واجهزة تسجيل ، فقد نجد كاميرا تصوير لديهم .

ومروا بجمع متحلق حول رجل اعتلى صندوقا خشبيا ليبدأ مزايدة على مجموعة ملابس في يديه تضم قمصانا في أكياس نايلون وقد تحمس عدد من الواقفين لعرض مبالغ متصاعدة . وكان هناك رجل عجوز يحاول أن يحصل على أريكة خشبية بأقل سعر ممكن . وعند أحد الاركان كان هناك شاب متأنق يبسط على منضدة أمامه عددا من أشرطة الكاسيت تحمل أسماء ما سجل فيها من أغنيات ، وقد وضع بينها جهاز تسجيل راح يلعلع بأعلى صوت بأغنية يؤديها صوت

مبحوح ناشز لم يسبق لاي من الصغار الاربعة أن سمعها . في الراديو أو التلفزيون أو في بيوتهم .

وكان هناك أكثر من محل يبيع أجهزة كهربائية ولكنهم لم يعثروا فيها بعد على من يعرض حتى كاميرا تصوير اعتيادية .

وفجأة توقف محمود . وانتبه الثلاثة الى تأخره عنهم ، فرجعوا اليه مستفهمين عن سبب توقفه ، فهمس محمود :

ـ لاحظوا هذا الرجل . الا يصلح أن يكون أحد أفراد العصابة في فيلمنا . انه يمكن أن يؤدي دور اللص الذي يتجسس على البطل .

ونظر الجميع الى حيث أشار . كان الرجل لافتا للنظر فعلا ، بأنفه الصقر الذي ينتأ في وجهه النحيل ، وقد بدت لحيته النامية شوكية الشعر قد وخطها المشيب . كان بعين واحدة ، وهي شديدة الضيق ايضا تحت حاجب مائل . كان يعتمر يشماغا حائل اللون دون عقال . وقد تدلت احدى ساقيه من الاريكة ، وارتفعت الاخرى

لتستقر قدمه الحافية المفلطحة فوق الحصيرة الموضوعة على الاريكة مؤدية الى انحسار طرف ثوبه عن جانب من فخذه ·

هز رائد رأسه مؤيدا ، وهمس في اذن همام طالبا منه أن يلاحظ امكانية تقليد هيئته ، منبها اياه الى ملاحظة حركاته وسلوكه · وكان لسان الرجل المستدق المغطى بطبقة صفراء قد برز ليبلل طرف ورقة رقيقة لف في داخلها كمية من التبغ ليصنع منها سيجارة ضئيلة ·

وانتبه وليد الى أن المحل الذي يجلس الرجل عند بابه يبيع أدوات كهربائية ، فلفت نظر اصحابه الى ذلك · كان الدكان صغيرا مظلما بالرغم من شمس منتصف النهار الحادة · ومروا بأنظارهم سريعا على قواعد لاجهزة تسجيل دون أغطيتها قد برزت تفاصيل دواخلها ، وشاشات تلفزيون دون اجهزة ، واكداس من بطاريات مربعة واسطوانية من أحجام مختلفة · والى الخلف من ذلك كله كانت هناك منضدة عليها

عدد من آلات التصوير ، وقد استقرت بينها باسطـ[illegible] لاقطة سينمائية ·

نظر الصغار الى بعضهم البعض · واقترب رائد من المنضدة ساحبا اصدقاءه خلفه · وتأملوا الكاميرا السينمائية بفضول · كانت نظيفة لامعة · ومد رائد اليها يده ، ونظر اليها من مختلف الجهات ، واختبر استقرارها على قبضته عندما حملها امام وجهه ·

وتشجع همام ، فعدل من موضع نظارته على أنفه ، وبلع ريقه ، وسأل الرجل النابت اللحية :

ـ هل يمكن أن نعرف سعر هذه الكاميرا السينمائية ··· من فضلك !

فرفع الرجل النحيل رأسه ، ونظر اليهم بعينه الوحيدة الضيقة فاتحا اياها الى اكثر ما يستطيع ، وكانت ـ لدهشتهم الشديدة ـ زرقاء اللون · ثم عاد الى سيجارته الضئيلة يشد منها نفسا عميقا ،وقال بصوت اجش لايتلاءم ونحوله :

ـ انه شيء لايفيدكم ، ولن تقدروا على دفـــع ثمنهـــا ٠

وأحس الاولاد أن الرجل لم يستلطف سؤالهـــم استصغارا منه لاعمارهم ٠ فعاود همام بلع ريقــه وقال :

ـ ومع ذلك نود أن نعرف سعرها ٠

وعاد الرجل ليشملهم بنظرته الاحادية ، ثم قال بصوته الاجش :

ـ خمسة وعشرون دينارا !

وابتلع الصغار ريقهم ٠ كان المبلغ اكبر ممـــا يحملونه من مدخراتهم ، ولكنه ـ بالتاكيد ـ دون حاجز المائة دينار الذي كانوا يخشونه ، بكثير ٠

وتشجع محمود ، واستعد للدخول في محاولـــة المساومـــة ٠

ـ ٦ ـ

حبس الاربعة انفاسهم ، وتعلقت ابصارهم بالعم فؤاد وهو يقلب اللاقطة السينمائية بين يديه ٠ كانـــوا قد ادلحوا في شراء الكاميرا من الرجل النحيل بخمسة عشر دينارا فقط بعد قليل من المناقشة ٠

وهم الان في انتظار رأي العم فؤاد فيهـا تمهيدا للطلب منه أن يعلمهم كيفية استخدامها ٠

ووضع العم فؤاد اللاقطة السينمائية عــلى المنضدة ، وشملهم على التوالي بنظرة طويلة ، ثـــم

قـــال :

ـ ليس بين هذا الشيء والات التصوير السينمائي من علاقة سوى المظهر الخارجي ، وهو ـ للحـــق ـ مظهر نظيف لامع ، ولكنها فيما عدا ذلـــك غير ذات نفع · حتى عدستها غير موجودة وقد استبدلت بزجاجة عاديـــة ·

أحس الاربعة بفتور وخيبة امل · وتصاعدت في حلوقهم غصة لادراكهم انهم قد فقدوا مدخراتهم الثمينة هباء · وادرك العم فؤاد مايفكرون فيه فقال :

ـ هل قلتم أنكم قد اشتريتموها من سوق الهرج؟ كان ينبغي أن تعتمدوا على شخص ذي خبرة مادمتـــم تريدون اللجوء الى محلات بيع الادوات المستعملـــة · وانا على العموم ضد التفكير في شراء الاجهـــزة المستعملة اذا كنا بصدد اقتناء أشياء دقيقة · ومـــن الواضح أنكم قد فقدتم مادفعتموه ، فلا سبيل الـــى استرداده وتلك مسؤوليتكم ·

ولم يكن الصغار بحاجة الى كل هذه الخطبـــة الطويلة فقد ادركوا كل ذلك بجلاء · واسترخى الصغار

في مقاعدهم · وفضل وليد أن يكمل شرب العصيـــر الموضوع امامه ·

وتطلع العم فؤاد الى رائد متسائلا :

ـ ماحاجتكم الى لاقطة سينمائية ؟

فتبادل رائد النظرات مع أصدقائه ثم قال بصوت هامـــس :

ـ لقد كنا نود أن نشترك جميعا في صناعة فيلم سينمائي · ليس فيلما طويـــلا مما يعـــرض في دور السينما أو في التلفزيون ولكنه على أية حال فيلم على قدر امكانياتنا ·

فابتسم العم فؤاد وقال :

ـ وكنتم تريدونه فيلم مغامرات ايضا ، اليس كذلك ؟ انني أفهم الان الهدف من استلتك السينمائيـــة المتلاحقة في الفترة الاخيرة ·

فهز رائد كتفيه · ودمدم محمود بنبرة مريرة :

ـ وهاقد فشلنا منذ الخطوة الاولى ، كما خسرنا ثروتنا الصغيرة ايضا ·

فعاود العم فؤاد الابتسام ، وشملهم جميعـــا

بنظرته ثانية ، ثم قال بصوت حنون :

ـ لست أود أن أراكم خائبي الامل هكذا • ماراأيكم في الاعتماد على لاقطتي السينمائية في تصوير فيلمكم ؟

إبتهج الاربعة ، ، وتبادلوا نظرات سريعة ، وبادر رائد الى سؤال عمه :

ـ هل ستسمح لنا باستخدام الكاميرا ٨ ملم سوبر ؟

قال العم فؤاد :

ـ انك تعرف أنني حريص على أجهزتي الدقيقة ، ساقوم انا بنفسي بتصويركم خلال تمثيل الفيلم •

فطأطأ رائد رأسه وقال بخفوت :

ـ ولكننا كنا نود أن نشعر بأننا نحن الذين نصنع العمل بأنفسنا • لافائدة • سنتخلى عن المحاولة •

إبتسم العم فؤاد • وعاد بذاكرته الى أيام ماضية كان يصر فيها بعناد على تحقيق رغباته واقتناء أجهزة كهربائية وميكانيكية عديدة ، محاولا الوصول الى اتقان استعمالها بنفسه ، حتى لو جابهه المعارضون •

واخيرا قال العم فؤاد :

ـ حسنا ، سوف أعيركم اللاقطة السينمائية • ولاحاجة الى تذكيركم بضرورة المحافظة عليها •

قفز الاربعة من مقاعدهم فرحين • لسوف يتحقق فيلمهم أخيرا • وتذكر العم فؤاد أن عليه أن يقول نصيحة معينة :

ـ ويجب الا يشغلكم ذلك عن دراستكم ، تذكروا انكم في الصف الثالث المتوسط ، وأمامكم امتحان وزاري هذا العام !

ـ ٧ ـ

اطمأن الاصدقاء الاربعة الى ضمان حصولهم على آلة التصوير السينمائية ، فجلسوا في اجتماعهم التالي يناقشون موضوع فيلمهم وصناعته ٠

قـــال رائد :

ـ لقد اتفقنا على أن نبدأ بتصوير قيام عدد مـن اللصوص بالتسلل الى أحد البيوت ، من الحديقة ثـم من السطح ، لسرقته ٠ وانا اقترح أن تكون بـــين المسروقات أوراق ثمينة تهم صاحب البيت للغاية ٠

فقاطعه وليد متسائلا :

ـ ماذا تعني بالاوراق الثمينة ؟ هل هي خريطـة كنز مثلا ؟

قال همام :

ـ لم يعد زمننا زمنا للحصول على الكنوز ورسم خرائط للطرق المعقدة للوصول الى مخابئها ٠

قال وليد :

ـ فماهي الاوراق الثمينة اذن ؟ وكيف سنحـدد نوعهـــا ؟

هز رائد يده قائلا :

ـ لتكن وثائق ثمينة دون تحديـد نوعهـــا ٠ وسيتحمس صاحب البيت للبحث عن اوراقه ، أي للبحث عن اللصوص ٠

سأل محمود :

ـ صاحب البيت أم الشرطة ؟

قال رائد :

ـ قلنا انه سيكون في فيلمنا : بطل ، ورجـــال شرطة ، والمجرمون في العصابة ٠ والمسألة هي كيفيـة

ترتيب تعرف البطل على اللصوص ٠

قال محمود :

ـ لنفترض أن صاحب البيت يعود الى منزلـــه قبل خروج اللصوص ، وسوف يضربونه على رأسه ولكنه سيرى أحدهم ويتذكر ملامحه ٠

قال همام :

ـ لاشك أن اللصوص سيكونون ملثمين ٠

قال محمود :

ـ لامانع من وجود علامة مميزة تساعده فـــي التعرف على أحدهم رغم اللثام ، كأن يكون بعين واحدة وهذه العين الواحدة ضيقة أشبه بشريط !

فابتسم الاخرون مرتاحين للفكرة ، فقد تعرفوا في هذا الاقتراح على ملامح البائع الذي خدعهم وباعهم الكاميرا السينمائية غير الصالحة ٠

سأل همام :

ـ وكيف سيعثر عليه فيما بعد ؟

قال رائد :

ـ يمكن أن يراه مصادفة في اي مكان ، فـــي

الشارع ، او في مقهى ، او في باص مصلحة ٠ وسوف يبادر الى ملاحقته من بعيد حتى يكتشف مكان التقائه برجال العصابة الاخرين ٠

قال وليد بحماس :

ـ وسوف يتظاهر بأنه يريد العمل مع العصابـة ويتسلل الى صفوفهم !

مط محمود شفتيه وقال :

ـ لن يكون هناك وقت للقيام بذلك ، انه أمــر يحتاج الى فترة زمنية طويلة ٠

قال ولـــيد :

ـ اذن سيكون هناك ضابط شرطة مندس سابقـا بين صفوف العصابة ، وسيقوم بمساندة البطل عندما يسقط في قبضتهم ٠ انهم سيأسرونه ، أليس كذلك ؟

قال همام :

ـ لاداعي لهذا ايضا ، انهم مجرد لصوص وليسوا عصابة تهريب أو مخدرات مثل العصابـــات التي نراها في الافلام المصرية ٠

قال وليد :

ـ ولابد أن تكون هناك راقصة !

نظر اليه رائد مستغربا :

ـ اية راقصـــة ؟

قال وليد :

ـ راقصة تعمل مع العصابة ، ثم تساعد البطـل فيما بعد ٠

السنا نرى مثل هذا دائما في الافلام ؟

قال رائد:

ـ ليس في فيلمنا راقصات ، ولسنا نريد فيـــه فتيات ايضا !

قال محمود ضاحكا :

ـ الا اذا كان وليد يريد أن يؤدي دور الراقصه بنفسه !

قال وليد غاضبا من مشاركتهما لمحمود فـــي ضحكاته :

ـ الحق علي أنا الذي أقترح لكم تفاصيـــــل قصصية ذكية !

قال رائد :

ـ من الافضل أن يتصل بطلنا ، صاحب البيت ، بالشرطة ٠ ويبقى ليراقب رجال العصابة ، ولكنهـــم يخرجون جميعا قبل وصول الشرطة فيتعلق بسيارتهم اللوري الكبيرة من الخلف ، ويصل الى مقرهم البعيد وهناك يكتشفون وجوده ، ويقبضون عليه ، ثم تحـدث معركـــــة ٠٠٠

قاطعه محمود :

ـ ومن أين ستأتي بسيارة اللوري ؟

قال رائد :

ـ يمكننا التصوير قرب الشاحنة التي يمتلكهـا جارنا ٠ انه يتركها واقفة أمام بيته طوال النهار فـــي أيام راحتـــه ٠

وتساءل همام :

ـ وماذا بعد ذلك ؟

قال رائـــد :

ـ لن يبقى الكثير ٠ سينجح في التغلب عليهـم الواحد بعد الاخر ٠ وتكون في ذلك نهاية العصابة ٠

ويستعيد الرجل المسروقات ووثائقه الثمينة ، ويحصل على شكر من رجال الشرطة .

صفق الاخرون متحمسين لموضوع الفيلم .

وجلسوا يتناقشون في تهيئة الملابس واللوازم التي سيحتاجون اليها ، وفي توزيع الادوار المتعددة فيما بينهم هم الاربعة فلسوف يؤدي كل واحد منهم اكثر من دور .

- ٨ -

صباح يوم الجمعة التالي كان الاربعة مستعدين للبدء .

كانت اللاقطة السينمائية مع رائد ، والى جانبها مجموعة علب صغيرة قليلة تضم اشرطة ٨ ملم الخام التي سيكون عليهم الاكتفاء بها لتصوير فيلمهم بكامله .

وأراهم رائد دفترا مجلدا أسود اللون ، وقال بفخر :

ـ هذا هو السيناريو ، لقد سهرت الليلة الماضية حتى أنجزته !

وكان الثلاثة بحاجة الى مزيد من التوضيح فتتح رائد صفحات الدفتر قائلا :

ـ ان السيناريو يضم تفاصيل الفيلم متسلسلة لاحظوا ان كل صفحة مقسومة بخط طولي عند الوسط. على اليمين نضع تفاصيل المشهد ، وعلى اليسار نضع نص الحوار والمؤثرات الصوتية الاخرى ·

قال محمود :

ـ اي حوار واية مؤثرات صوتية ؟ ان هذه الكاميرا لاتسجل الصوت ·

قال رائد ممتعضا :

ـ اعرف انها لاتسجل الصوت ، ولكن هذه هي الطريقة الصحيحة لكتابة السيناريو حتى لو تركنا نصيب الصوت فارغا !

وكان همام يلقي نظرة على المادة المكتوبة فتساءل :

ـ بعض هذه المصطلحات مفهومة ، مثل : اللقطة

الكبيرة والمتوسطة والبعيدة · ولكن ماذا تعني عبارات مثل : « زوم » و « ترافلينغ جانبي » ؟

فنفخ رائد صدره ، واستعد للشرح ، متخذا مظهر مدرسهم للغة العربية ، وقال :

ـ كان ينبغي أن تطلعوا على الكتب التي قرأتها مؤخرا · حسنا ··· لقطة الزوم هي لقطة الاقتراب للتكبير أو الابتعاد للتصغير · والترافلينغ الجانبي هو اللقطة المتحركة التي تصاحب جسما متحركا بشكل أفقي ·

ولم يبد على الاخرين انهم متحمسون للاستماع الى محاضرات من أي نوع · لقد كانوا يريدون الشروع بالتصوير والعمل فورا ·

وتساءل محمود :

ـ بماذا سنبدأ ؟

قال رائد :

ـ يمكننا البدء بأي مشهد من المشاهد ثم نرتبها فيما بعد وفق تسلسلها في القصة ولكن من الافضل أن

نقوم بالتصوير وفق تسلسل الاحداث لكي لاتختلط علينا الامور ! لنبدأ بمشهد دخول اللصين الى البيت لسرقته .

* * *

ولم تمض محاولات تصوير المشاهد دون عقبات .

فعندما كانوا ينفذون مشهد استخدام الحبل لتسلق الجدار الى السطح اعترضت والدة رائد على محاولتهم استعمال حبل الغسيل في وقت حاجتها اليه لنشر الملابس المغسولة . وعندما علمت أنهم بسبيل استعماله للتسلق على الجدار ثار غضبها خوفا عليهم من السقوط . ولكن أيا منهم - على أية حال - ما كان يجرؤ على تسلق الجدار ولذلك عزموا على الاكتفاء بتصوير الاستعداد للتسلق والانتقال لتصوير مشهد وصول اللصوص الى السطح !

ولم يستطع محمود الحصول على « يشماغ » أسود لاستخدامه في التلثم ، فلجأ الى استخدام ايشارب مرقط تستعمله والدته ! أما ملابس رجال الشرطة

فقد كانت ملابس الكشافة التي جلبها همام من دولاب الملابس القديمة لشقيقه الاكبر تفي بالغرض !

وعندما أرادوا التصوير عند سيارة الشحن الكبيرة الموضوعة امام بيت الجيران خرج السائق غاضبا وطردهم بعيدا . ولم تجد نفعا محاولاتهم لاقناعه بأنهم بصدد القيام بعمل فني فلقد سئم تسلل صغار المحلة دوما الى شاحنته عندما ينام ، متسلقين جوانبها وظهرها عابثين بما يستطيعون الوصول اليه من أدواتها . وقد اضطرهم ذلك الى الغاء الجزء الخاص بسيارة الشحن في السيناريو !

وعندما أرادوا تصوير الحركة في الشوارع انتبه اليهم بعض الصغار ، فتحلقوا حولهم . وقد أحسوا بشيء من الفخر في البداية ، ولكنهم مالبثوا ان ضاقوا بتجمهرهم حولهم واعاقتهم للتصوير .

وقد اختاروا أن يجعلوا بطل فيلمهم يتعرف على رجل العصابة الاعور أثناء جلوسه في أحد المقاهي .

وشجعهم على هذا الاختيار أن قريبا لهمام يملك كازينو ذات واجهات زجاجية عريضة واضاءة كافية تسمح

بالتصوير داخلها ٠

وفيما بين الرغبة في التسلية ، وبين عدم الميل الى رد قريبه الصغير همام أمام اصدقائه الذين جاء بهم معه ، سمح لهم صاحب الكازينو بالتصوير هناك في الفترة التي يقل فيها عدد الزبائن ٠

وقد سالهم ، على سبيل الفضول والتبسط في الحديث ، عن موضوع فيلمهم ، فأجابه همام بفخر :

ـ انه عن عصابة تسرق البيوت ينجح بطلنا في الامساك بهم وفقا للمبدأ القائل بأن « الجريمة لاتفيد » ؟

فقال صاحب المقهى مبتسما :

ـ موضوع طريف ، ومبدأ سليم ٠ ولكن المهم هو مدى الوقت الذي يمر بالجريمة قبل انكشافها ، وأي مستوى يعيش فيه اللصوص حتى يحين أوان ذلك !

ـ ٩ ـ

وعندما وصل بهم التصوير الى مشهد ملاحقة البطل لافراد العصابة في مخباهم اقترح محمود الذهاب الى الشارع الذي يقع فيه بيتهم ٠ فهناك ، في آخره ، بيت قديم ، هدم نصفه وبقي النصف الاخر خربا ايلا للسقوط ، ولم يعد احد يمر عليه منذ وقت طويل ٠

وذهب الاربعة لمعاينة المكان ٠ وقد بدا لهم، لاول وهلة ، مكانا نموذجيا للتصوير ٠ واشار رائد الى جهة

السياج الخلفية ، وقال :

ـ يمكن لبطلنا أن يصعد من هذه الجهـــــة مستخدما ذلك البرميل القديم · ثم يسير مع الحافـــة المتهدمة للسطح حتى تلك الجهة ، ويضطجع عـــلى الارض ، مادا راسه من فوق ليراقب رجال العصابـــة الجالسين خلف تلك الاحجار عند شجرة الزيتـــون القديمة هذه · وبما أن الشمس خلفي الان فان التصوير سيكون ممتازا ·

قال وليد محتجا :

ـ وهل تريدني أن اتسلق فوق كل هذه الاتربـــة واسير فوق هذا السطح المخيف · انه يبدو كما لـــو كان سيسقط لو سارت عليه قطة ·

فقال له محمود :

ـ الا يكفي اننا قد جعلناك بطل الفيلم ؟ أي بطل هذا الذي يخشى تسلق الجدران ويخاف التراب !

الحمد لله اننا لا نصنع فيلما عنطرزان ، وليس في فيلمنا تماسيح ولا افاع ولا اسود !

ولكن وليد واصل احتجاجه :

ـ وماذا ساقول لوالدتي عن ملابسي المتربـــة المتسخة ؟

قال همام معيدا وضع نظارته الطبية المنزلقة عن أنفه الى موضعها :

ـ لا اعتقد بوجود أي خطر · اما عن الانبطـــاح فوق السقف فمن الممكن أن نفرش هناك على الارضـــ قطعة قماش مسبقا لتسلقي عليها ، ولن تظهر فـــي الصورة مادمنا نصور من أسفل ·

وبدأ وليد يتدرب على اللقطة قبل تصويرها ، فلا مجال لديهم للاعادات ، ولا أشرطة سينمائية زائدة عن الحاجة · وينبغي تصوير اللقطة مرة واحـــــدة ووحيدة ، صائبة ومضبوطة ·

ومثل العادة ، تتابعت ملاحظات وتعليقات رائــد ومحمود وهمام تنصح وليد بتعديل حركته تلك أو اداء حركة اخرى بشكل آخر · واستمر ذلك حتى استقروا اخيرا على أن ياتي وليد من الفتحة الموجودة فـــي السياج المتهدم ، فيمد راسه وينظر يمينا ويسارا كـــي يتاكد من خلو المكان · ثم يتسلل منحنيا حـــــــ

يصل الى جدار البيت • ثم يرفع رأسه الى أعلى كأنه يتنصت الى أصوات ما ، وسرعان ما يدرك أن الاصوات تأتي من الجهة الثانية من المكان •

فينظر حوله ليقرر اختيار طريقه ، ويحزم أمره أخيرا على الصعود الى أعلى البناء المتهدم كي يكون فوق اللصوص من الجهة الاخرى • وكانت أكوام أحجار البناء المتهدم تسمح بالصعود الى السطح بسهولة • وقد حدد له رائد اتجاه مسيره فوق السطح بما يجعله في نطاق حركة عدسة الكاميرا •

وقد تم تحديد طول كل حركة بما يتناسب مع فترة الثلاثين ثانية مادامت لاقطة العم فؤاد من النوع الذي يحتاج الى ادارة المفتاح وملء المحرك بعد كل لقطة ذات ثلاثين ثانية •

وبعد قليل كان وليد فوق السطح • ورمى اليه همام بقطعة القماش السوداء التي سبق أن استخدمها باعتبارها عباءة أحد اللصوص ، كي يفرشها على السطح عند الحافة الثانية •

ونظر رائد الى وليد من خلال عدسة الكاميرا وهو

يسير بهدوء ، محني الظهر ، فوق السطح • وطلب منه أن يسير ثانية أقرب الى الحافة كي يبدو جسمه كاملا في مجال الكاميرا •

وعاد وليد لاعادة حركته ، ولكن قدمه استقرت فوق مكان ضعيف من السقف المتهدم لم يحتمل ثقل جسمه ، فانهار ، وسقط وليد من أعلى جارفا معه أكواما من التراب والطابوق والانقاض في ضجة عالية محفوفة بالغبار •

صرخ وليد متألما ، وتعالت صيحات الفزع من الاصدقاء الثلاثة خوفا عليه ، وهرعوا جميعا اليه كان وليد مستلقيا على ظهره فوق أكوام الانقاض التي جرفها وسحبها معه أثناء سقوطه ، وقد فتح ذراعيه ومازال مغمضا عينيه بشدة ، وقد غطاه التراب تماما من قمة رأسه حتى حذائه •

وصاح محمود :

ـ هل تحس بألم ما ، هذا ؟ هل نزفت دما ؟

كان هناك دم أحمر تحت وليد عند أبطه •

وما أن سمع وليد كلمة « دم » حتى قفز مرعوبا،

وراح يتحسس صدره وبطنه · ولكن لم يكن هناك على ملابسه سوى الغبار ، وقد بقي الدم على الارض في موضعه وانحنى همام على الارض ، ومد يده وقال :

ـ انه ليس دما ، هذه قطعة قماش حمراء اللون ·

وأراد همام أن يسحب القماش الاحمر ، فخرجت في يده كتلة كاملة · لم تكن مجرد قطعة قماش ، بل صرة معقودة بعناية تضم شيئا ما ثقيلا في داخلها ·

نظر الاولاد الى بعضهم بعضا · ونسي وليد تماما الام سقطته ورضوضها · وبأصابع مضطربة راح همام يفتح عقدة الصرة الحمراء ، في حين بادر رائد الى وضع غطاء عدسة الكاميرا في موضعه فوقها لحمايتها من المزيد من الغبار ، فقد تذكر الان واحدة من نصائح العم فؤاد بصدد ضرورة وقاية العدسة من الغبار ·

وفتح همام صرة القماش الاحمر ، ولدهشتهم الشديدة كان في داخلها كمية من المجوهرات الذهبية مابين أساور وقلائد وغير ذلك ·

صاح وليد :

ـ كنز ! هذا كنز القرصان ! لقد كنتم تقولون أن زمننا ليس زمن الكنوز !

قال محمود :

ـ انظروا ! يبدو أن هناك غيرها !

وأوشك محمود أن يمد يده ليلتقط الصرة الثانية، فقال رائد :

ـ انتظر ! لابد من وجود تفسير لوجود هذا الذهب هنا · ان القماش جديد ، وهذا يعني انه موضوع منذ وقت قريب · فما معنى وضع المصوغات الذهبية داخل صرر في انقاض بناء متهدم متروك ؟

قال همام :

ـ هل تعني أنه موضوع حديثا لهدف ما ؟ عصابة مثلا تخفي المسروقات لفترة قصيرة ؟ عصابة حقيقية ؟

قال محمود :

ـ أعتقد أننا بحاجة الى استشارة شخص كبير· دعوا كل شيء على حاله ، وهيا نسرع لنخبر والدي فبيتنا قريب من هنا ·

- ١٠ -

استمع والد محمود الى حديثهم باهتمام ، وحرص على ان يتاكد من عدم تحريكهم لاي شيء اخر من مكانه ، وقال :

- ان وجود تلك المصوغات الذهبية والاشياء الاخرى في البناء المتهدم المهجور امر يبعث على الريبة فعلا . ويبدو انه مخبأ مؤقت لهذه الاشياء التي من المحتمل ان تكون مسروقات ، فنوع المكان لايسمح بترك مثلها لوقت طويل .

ونهض من مقعده وهو يواصل كلامه :

- ينبغي ابلاغ الشرطة كي يعرفوا حقيقة أمرها . ولربما يكون بامكانهم نصب كمين للاشخاص الذين تركوها ، فمن المحتمل أن يعودوا اليها بعد وقت قصير .

وكان هذا ماحدث . ووصل رجال الشرطة حالا .

وجرى جلب باقي المسروقات من الخربة بمنتهى الهدوء وبدون اثارة ضجة ، ذلك انه كانت هناك سرقة في الليلة الماضية في منطقة قريبة جرى الابلاغ عنها في الصباح . وبما أن المسروقات مخبأة على عجل بما جعل انكشافها سريعا بمجرد سقوط وليد من السطح فان من المحتمل أن اللصوص قد اضطروا الى تركها هنا لسبب ما على أن يعودوا اليها بعد وقت قريب .

وبكل حذر وهدوء جرت ترتيبات نصب كمين لاولئك الذين سيعودون الى الموضع حتما . وهذا ما تحقق بالفعل خلال يومين .

واستمع الصغار الاربعة الى كلمات الشكر والثناء بمنتهى الفرح والفخر والاعتزاز ، فقد

قاموا بعمل كبير دون ريب ·

وفكر رائد في انهم قد عثروا اخيرا على نهاية عظيمة لقصة فيلمهم · وربما كان في حكاية هؤلاء اللصوص مادة جيدة لفيلم اخر · وتمنى لو تتاح لهم فرصة معرفة تفاصيل ماحدث كي يمكنهم الافادة من ذلك في الفيلم التالي ·

ونقل امنيته هذه الى العم فؤاد بينما كان يسلمه الاشرطة التي صوروها كي يتولى طبعها وتحميضها واظهارها · فابتسم العم فؤاد قائلا :

ـ دعوني اولا انتهي من هذه الافلام وارى نتيجة ماصورتموه خلال هذه الايام التي شغلتم فيها الجميع ·

والقى نظرة اخرى على مجموع الاشرطة وقال

ـ لعلني اخطأت بسماحي بفتح هذا المجال امامكم · فمن الواضح انكم ستغرقونني بين يوم واخر بافلام جديدة · لقد كان من الافضل أن اطالبكم منذ البداية بأجر عن طبع الافلام للحد من حماسكم ونشاطكم !

ثم ابتسم وهو يلقي نظرة ذات مغزى الى وليد

وقال :

ـ اما اذا اردتم تصوير حكايتكم الثانية هذه فان على وليد أن يقع مرة اخرى من فوق الانقاض · فهل انت مستعد لسقطة اخرى مماثلة يا وليد ؟

فتصاعدت ضحكات الجميع !

النهاية